المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي وتحديد مصطلحي

"إنّنا لا نُريدُ أنْ نخلق إنسانًا متعلمًا، ولكن نريد أن نخلق إنسانًا قابلًا للتّعلم "
جان جاك روسو

تمهيد:

البحث العلمي أساس نهضة الأمم والشعوب، وهو نشاط دائم السيرورة يستخدمه الانسان لإعمال العقل والحواس وكل الملكات من أجل فهم حقيقة كل ما يحيط به من الظواهر الطبيعية، والاجتماعية والثقافية إلى غير ذلك لتسخيرها خدمة له.

أولا: المنهجية: نسبة إلى المنهج وهو:

1/ **في اللغة:** يعني الطريق الواضح، ونهج الطريق بمعنى، أبانه وأوضحه، ونهجه بمعنى سلكه بوضوح.[1]

2/ **في الاصطلاح:** يُعرّف على أنه " مجموعة الإجراءات الذهنية التي يتمثلها الباحث مقدما لعملية المعرفة التي سيقبل عليها، من أجل التوصل إلى حقيقة المادة التي يستهدفها" [2]

وهو " طريقة تنظيم المعلومات بحيث يكون عرضها عرضا منطقيا سليما، متدرجا بالقارئ من السهل على الصعب ومن المعلوم إلى المجهول، منتقلا من المسلمات إلى الخلافيات، متوخيا في كل ذلك انسجام الأفكار وترابطها." [3]

المنهجية: مصطلح يقابه في الإنجليزية (Methodology) وهو مصطلح مركب من جزأين: المنهج واللاحقة (ية)؛ أي علم المنهج. هذه اللاحقة هي التي أعطت

([1])- ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت لبنان ج2 ص 383. الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، ص 284.

([2])-محمد طه بدوي: المنهج في علم السياسة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2000، ص 115.

([3])-عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد ناشرون، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط7، 2005، ص 25.

الصفة العلمية للدراسة التي سيقوم بها الباحث من أجل الوصول إلى الحقيقة. [4]

ثانيا: الفرق بين المنهج والمنهجيَّة :

الفرق بين المنهج والمنهجيَّة، المنهج هو الطريق المتبع في الوصول إلى النتائج المرجو تحقيقها من البحث،

وأمَّا المنهجية، فهي الجانب التطبيقي للمنهج باستثمار آلياته المتعدِّدة. وهذا ما تبينه الصيغة اللفظية للمصطلح

فهي مصدر صناعيٌّ يدلُّ على الجانب التطبيقيِّ للمنهج، شأنه في ذلك شأن المعجمية كجانب تطبيقيٍّ لعلم المعجم، والمصطلحية كجانب تطبيقي لعلم المصطلح.

فمثلا إذا أردنا البحث في جهود بعض علماء اللغة وليكن تمّام حسّان بعنوان: آراء تمام حسان اللغوية دراسة وصفية. فالعنوان يفرض المنهج الوصفيُّ المبني على جمع المادة العلمية وتحليلها.

أمّا المنهجية التي سأتّبِعها تكون بالإجابة عن أسئلة منها:

هل سأدرس كل كتبه أم أختار نماذج معيّنة؟ والعمل هنا إحصائي.

إذا كان الاختيار على مستوى العيّنات، هل أكتفي بموضوع واحد من خلال كل كتبه، أم من خلال كتاب واحد؟

هل أختار المدونة الورقية أم الالكترونية؟

هل أكتفي بنظرته إلى القضايا المُعالجة، أم أستحضر آراء العلماء السابقين والمعاصرين له والمتأخرين عنه في لقضايا نفسها؟

ثالثا: ضرورة المنهج في البحث العلمي:

البحث العلميَّ لا يقوم على العشوائيَّة؛ وإنما يتبع آليات محدَّدة، تنظِّم العمل وتؤطِّره فيكون بذلك المنهج الروح الخفية المبرمجة لمراحل البحث لغاية الوصول إلى الأهداف المسطرة "فأهمية المنهج للدراسة لا تقلُّ عن أهمية الماء للكائن الحيّ؛ إذ به يتمكَّن الباحث من بثِّ الروح في كيان بحثه، وذلك بمتابعة الظاهرة المدروسة وتحليلها بدءًا بجمع المادة العلمية، وانتهاءً بالنتائج

([4])- ينظر، ينظر عبد الرحمن شلبي: مناهج البحث العلمي، ص 6،7.

والتوصيات التي يراها، مطبِّقًا إجراءات منهجٍ ما بدقَّة وفعالية، تمكِّنه من الوصول ببحثه إلى مصاف الدراسات العلمية الدقيقة."([5]).

فوجود المنهج ووضوحه ضرورة للوصول إلى تحقيق غاية البحث والباحث، وعدم وجوده أو وضوحه "يؤدِّي عدم وضوح المنهج، أو عدم وجوده أصلًا، أو السير على أساس خطواته، ولكن دون الوعي التام به - إلى الوقوع في الكثير من الأخطاء، وإخراج بحث غير متكامل يسيطر عليه التفكُّك، والبعدُ عن الدِّقة في المعالجة للموضوع أو الظاهرة المدروسة."([6]).

رابعا: البحث:

في مدلوله اللغوي العام يعني: طلب الشيء، وإثارته، وفحصه.

يقول ابن فارس (ت 395ه): " الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدل على إثارة الشيء. والبحث: أن تسأل عن شيء وتستخبر، فتقول: استبحث عن هذا الامر، وتقول: بحثت عن فلان بحثا، وأنا أبحث عنه، والعرب تقول: كالباحث عن مدية، يضرب لمن يكون حتفه بيده، وأصله في الثور تدفن له المدية في التراب فيستثيرها وهو لا يعلم فتذبحه، قال:

ولا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم ظل يثيرها.

وقال: والبحث لا يكون الا باليد، وهو بالرجل: الفحص، ويقال: بحث عن الخبر، أي طلب علمه" [(7)]

والفحص عند ابن منظور بمعنى: شدة الطلب ويأتي كذلك بمعنى الحفر والتنقيب عن الخبء والمستور والغائب والموارى. [(8)]

إن طلب الشيء المجهول يكفيه أن يكون سببا ومثيرا مباشرا يجعل الباحث ينقب عن المعلومات التي يراها في بادئ الأمر مفيدة في مجال بحثه، ثم

([5])- عبدالمنعم عبدالله، البحث اللغوي، أصوله و مناهجه. 78

([6])- محمود ياقوت، مناهج البحث اللغوي ، ص 105

([7])- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ضبط عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –- بيروت –لبنان- 1979، مادة (ب ح ث).

([8])-ينظر، لسان العرب: مادة ف ح ص، ج/7ص 63.

بعد ذلك عليه أن يتفحص ما تجمع له من حقائق ومعلومات فيأخذ بما له صلة ببحثه ويبعد ما ليس له صلة بالبحث.

خامسا:

العلم: العلم في منظور الاسلام يأتي بمعنى القرآن والسنة قال تعالى" ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير " [9] وقد يأتي بمعنى علم الدين قال تعالى" قال الذين اوتوا العلم أن الخزي اليوم والسوء على الكافرين"[10] وفي السنة النبوية ورد ليدل على المفهوم الدنيوي الدال على التحصيل الإنساني بالتجربة اليومية حيث قال الرسول" أنتم أعلم بأمور دنياكم"

العلم بالمنظور الحديث: "يحمل مفهوما عاما يشمل كل من النظريات والتطبيقات العلمية للمعارف المنظمة، التي تم جمعها وتصنيفها أو اكتشافها وتطويرها، ودراسة العلاقة بينها ضمن مناهج وطرائق محددة" [11]

يعرفه عبيدات" المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والدراسة والتجريب، التي تهتم بهدف التعرف على طبيعة وأصول الظواهر التي تخضع للملاحة والدراسة" [12]

سادسا:

البحث العلمي: بالرجوع إلى مؤلف محمد الشريف عبد الله نجده يعرض تعريفات كثيرة ليخلص في الأخير إلى هذا التعريف الذي حوصل ما سبق وتطرق إليه حيث يقول: "دراسة مفصلة لمشكلة معينة، ودراسة المشكلة تعتمد على أسس ومعايير علمية يتبعها الباحث لكي يتوصل إلى حقيقة المشكلة، اتي يبحثها، وان الأبحاث بمختلف أنواعها تعتبر مصدرا مهما للمعرفة البشرية" [13]

([9]) - البقرة 120

([10])- النحل 27

([11]) - موسوعة أعمال الموسوعة العربية العالمية، ج16 مؤسسة اعمال للنشر والتوزيع ط2، الرياض، 1999

([12])- عبيدات وآخرون: منهجية البحث العلمي، القواعد والمراحل والتطبيقات، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، الجامعة الأردنية، دار وائل للطباعة والنشر، ط2، 1999 ص 6

([13])- محمد الشريف عبد الله: مناهج البحث العلمي، دليل الطالب في كتابة الأبحاث والرسائل العلمية، مكتبة الاشعاع للنشر والطباعة والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1996، ص15.

سابعا: خصائص البحث العلمي: [14]

أ/ البحث العلمي بحث منظم ومضبوط: أي أن البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق، لأن المشكلات والفروض والملاحظات والتجارب والنظريات والقوانين، قد تحققت واكتشفت بواسطة جهود عقلية منظمة ومهيأة لذلك، وليست وليدة مصادفات أو أعمال ارتجالية وتحقق هذه الخاصية للبحث العلمي عامل الثقة الكاملة في نتائج البحث.

ب/ البحث العلمي بحث نظري: لأنه يستخدم النظرية لإقامة وصياغة الفرض، الذي هو بيان صريح يخضع للتجارب والاختبار.

ج/البحث العلمي بحث تجريبي: لأنه يقوم على أساس إجراء التجارب والاختبارات على الفروض، والبحث الذي لا يقوم على الملاحظات والتجارب لا يعد من البحوث العلمية.

د/ البحث العلمي بحث حركي وتجديدي: لأنه ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة، عن طريق استبدال متواصل ومستمر للمعارف القديمة بمعارف أحدث وأجد.

ه/ البحث العلمي بحث تفسيري: لأنه يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات.

و/ البحث العلمي عام ومعمم: لأن البحوث لا تكتسب الصفة العلمية إلا إذا كانت معممة وفي متناول أي شخص.

ثامنا: بين العلم والمعرفة: [15]

1/ من جهة اللفظ:

فعل المعرفة يقع على مفعول واحد. قال تعالى" فَعَرفهُم وهُم له مُنْكرون" **يوسف 58**، وقال أيضا" يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" **البقرة 146**. أي أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به حق وصدق، وتيقنوا ذلك كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم.

([14])- ينظر ، رحيم يونس كروالعزاوي: مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 208،ص 29.و عمار بوحوش:دليل الباحث في المنهجية وكتابة الرسائل الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2،ص 5.و سلامي سيد علي: دروس مقياس منهجية البحث العلمي، جامعة الجلالي بونعامة خميس مليانة، 2017،ص13.

([15])- منصة قلم، www.qalamedu.0rg

أما فعل العلم يقتضي مفعولين، قال تعالى" فإن علمتموهن مؤمنات" الممتحنة 10، وإذا وقع على مفعول واحد فبمعنى المعرفة. قال تعالى" وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" الانفال 60. يتكلم عن الأعداء الذين سيقاتلون المسلمين بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به، فالله يعرفوهم لذلك وجب الاستعداد لهم.

2/ من جهة المعنى:

أ/ المعرفة تتعلق بذات الشيء، والعلم يتعلق بأحواله، فتقول عرفت فلانا وعلمته صالحا. لذلك جاء الأمر في القرآن بالعلم دون المعرفة" فاعلم أنه لا إله إلا الله "محمد 19. وقوله تعالى" فاعلموا أنما أنزل بعلم" هود 19.

ب/ المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد إدراكه، فإذا أدركه قيل عرفه أو تكون لما وصف بصفات قامت في نفسه، فإذا رآه وعلم أنه الموصوف بها قيل: عرفه. قال تعالى" وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون" يوسف 58. فالمعرفة نسبة الذكر في النفس وهو حضور ما كان غائبا عن الذاكر. ولهذا كان ضدها الانكار، وضد العلم الجهل. قال تعال" يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها" النحل 83.

ج/ المعرفة تفيد تمييز المعروف عن غيره، والعلم يفيد تمييز ما يوصف به عن غيره.

تاسعا: أقسام المعرفة: [16]

1/ المعرفة الحسية: وتكون بواسطة الملاحظات البسيطة والعفوية والمباشرة، عن طريق حواس الانسان المعروفة، مثل الظواهر الفلكية دون إدراك للعلاقات القائمة بين هذه الظواهر الطبيعية وأسبابه.

2/ المعرفة الفلسفية: وهي مجموعة المعارف والمعلومات التي يتحصل عليها الانسان بواسطة الفكر لا الحواس، حيث يستخدم أساليب التأمل والتفكير الفلسفي، لمعرفة الأسباب والحتميات البعيدة للظواهر، مثل التفكير والتأمل في أسباب الحياة والموت، خلق الوجود والكون.

([16])- ينظر: سلامي سيد علي، دروس مقياس منهجية البحث العلمي، ص5،6.

3/ المعرفة العلمية التجريبية: وهي المعرفة التي تتحقق على أساس الملاحظات العلمية المنظمة، والتجارب المنظمة، والمقصودة للظواهر والأشياء، ووضع الفرضيات واكتشاف النظريات العامة القوانين العلمية الثابتة، القادرة على تفسير الظواهر والأمور تفسيرا علميا، التنبؤ بما سيحدث مستقبلا والتحكم فيه، وهذا النوع الأخير من المعرفة هو وحده الذي يكوّن العلم.